استئناف انتقل به الغرض من إقامة الحجة والمنة " المبتدئة بقوله تعالى (ولقد مكناكم في الأرض) وتنبيه أهل الضلالة أنهم غارقون في كيد الشيطان الذي هو عدو نوعهم من قوله (قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) إلى قوله (وأن تقولوا على ا ما لا تعلمون) ثم بالتهديد بوصف عذاب الآخرة وأحوال الناس فيه وما تخلل ذلك من الأمثال والتعريض " ؛ إلى غرض الاعتبار والموعظة بما حل بالأمم الماضية فهذا الاستئناف له مزيد اتصال بقوله في أوائل السورة (وكم من قرية أهلكناها) الآية وقد أفيض القول فيه في معظم السورة وتتبع هذا الاعتبار أغراض أخرى : وهي تسلية الرسول A وتعليم أمته بتاريخ الأمم التي قبلها من الأمم المرسل إليهم ليعلم المكذبون من العرب أن لا غضاضة على محمد A ولا على رسالته من تكذيبهم ولا يجعله ذلك دون غيره من الرسل بله أن يؤيد زعمهم أنه لو كان صادقا في رسالته لأيده ا بعقاب مكذبيه " لما قالوا على سبيل التهكم أو الحجاج : (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) . وليعلم أهل الكتاب وغيرهم أن ما لقبه محمد A من قومه هو شنشنة أهل الشقاوة تلقاء دعوة رسل ا . وأكد هذا الخبر بلام القسم وحرف التحقيق لأن الغرض من هذه الأخبار تنظير أحوال الأمم المكذبة رسلها بحال مشركي العرب في تكذيبهم رسالة محمد A .

وكثر في الكلام اقتران جملة جواب القسم : ب (قد) لأن القسم يهيئ نفس السامع لتوقع خبر مهم فيؤتى بقد لأنها تدل على تحقيق أمر متوقع كما أثبته الخليل والزمخشري والتوقع قد يكون توقعا للمخبر به وقد يكون توقعا للخبر كما هنا .

وتقدم التعريف بنوح عند قوله تعالى (إن ا اصطفى آدم ونوحا) في سورة آل عمران وكان قوم نوح يسكنون الجزيرة والعراق حسب ظن المؤرخين وعبر عنهم القرآن بطريق القومية المضافة إلى نوح إذ لم يكن لهم اسم خاص من أسماء الأمم يعرفون به فالتعريف بالإضافة هنا لأنها أخصر طريق .

وعطف جملة (فقال يا قوم) على جملة (أرسلنا) بالفاء إشعارا بان ذلك القول صدر منه بفور إرساله فهي مضمون ما أرسل به .

وخاطب نوح قومه كلهم لأن الدعوة لا تكون إلا عامة لهم وعبر في ندائهم بوصف القوم لتذكيرهم بآصرة القرابة ليتحققوا أنه ناصح ومريد خيرهم ومشفق عليهم وأضاف (لقوم) إلى ضميره للتحبيب والترقيق لاستجلاب اهتدائهم .

وقوله لهم (اعبدوا ا ما لكم من إله غيره) إبطال للحالة التي كانوا عليها وهي تحتمل

أن تكون حالة شرك كحالة العرب وتحتمل أن تكون حالة وثنية باقتصارهم على عبادة لأصنام دون ا تعالى كحالة الصابئة وقدماء اليونان وآيات القرآن صالحة للحالين والمنقول في القصص : أن قوم نوح كانوا مشركين وهو الذي يقتضيه ما في صحيح البخاري عن ابن عباس أن آلهة قوم نوح أسماء جماعة من صالحيهم فلما ماتوا قال قومهم : لو اتخذنا في مجالسهم أنصابا فاتخذوها وسموها بأسمائهم حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت .

(واتقوه ا اعبدوا أن) لقوله ا يعبدون لا كانوا أنهم نوح سورة في ما وظاهر A E وظاهر ما في سورة فصلت أنهم يعترفون با لقولهم (لو شاء ربنا لأنزل ملائكة) مع احتمال أنه خرج مخرج التسليم الجدلي فإن كانوا مشركين كان أمره إياهم بعبادة ا مقيدا بمدلول قوله (ما لكم من إله غيره) أي أفردوه بالعبادة ولا تشركوا معه الأصنام وإن كانوا مقتصرين على عبادة الأوثان كان قوله (ما لكم من إله غيره) تعليلا للإقبال على عبادة ا أي هو الإله لا أوثانكم .

وجملة (ما لكم من إله غيره) على الوجه الأول بيان للعبادة التي أمرهم بها أي أفردوه بالعبادة دون غيره إذ ليس غيره لكم بإله .

وعلى الوجه الثاني يكون استئنافا بيانيا للأمر بالإقلاع عن عبادة غيره .

وقرأ الجمهور (غيره) بالرفع على الصفة (لإله) باعتبار محله لأنه في محل رفع إذ هو مبتدأ وإنما جر لدخول حرف الجر الزائد ولا يعتد بجره وقراه الكسائي وأبو جعفر : بجر (غير) على النعت للفظ (إلاه) نظرا لحرف الجر الزائد